بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الدكتور محمود السيد رئيس مجمع اللغة العربية

في حفل استقبال الدكتور محمد قاسم عضواً عاملاً في المجمع

٢٠٢٤/٢/٢٨

السيدات والسادة، أيها الحفل الكريم:

أحييكم أطيب تحية، وأرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم تفضلكم بحضور هذه الجلسة العلنية لمجمع اللغة العربية بدمشق لنشارك جميعاً في استقبال الدكتور محمد عبد الله قاسم عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية بدمشق.

لقد انتخب مجلس المجمع في جلسته المنعقدة يوم الأربعاء في السادس من ربيع الأول عام خمسة وأربعين وأربعمئة وألف هجرية الموافق العشرين من الشهر التاسع عام ثلاثة وعشرين وألفين ميلادية الدكتور محمد عبد الله قاسم عضواً عاملاً في المجمع، وصدر بانتخابه المرسوم الجمهوري ذو الرقم ستة وسبعين ومئتين، والتاريخ الخامس من الشهر الحادي عشر من عام ثلاثة وعشرين وألفين.

فتهانينا له بثقة زملائه المجمعيين، واختيارهم له زميلاً عزيزاً ينضم إلى أسرة المجمع ليسهم في خدمة لغتنا العربية التي طبعت بالعروبة حضارتنا وهويتنا الثقافية، وهي قلعتنا الحصينة للذود عن هويتنا ووحدتنا القومية، وما هويتنا العربية إلا انتماء إلى لغتنا العربية وتاريخنا العربي وأرضنا العربية وقرآننا الكريم العربي.

سيداتي سادتي:

لقد ركز مجمعنا في دمشق منذ إنشائه حتى الوقت الحاضر على الجمع بين الأصالة والمعاصرة في نهضة أمتنا وخدمة لغتها العربية الخالدة، آخذاً بالحسبان أن من معايير الأصالة هو ما نطلق عليه الماضي الحي من تراثنا الذي يغذي العقل والوجدان، ويسهم في تقدم المجتمع، وارتقائه في حاضرنا وتوجهنا المستقبلي، والنظرة العلمية الناقدة هي التي تميز بين المفيد والقيم مما جاء في التراث وغير القابل للحياة في حاضرنا ومستقبلنا. ومن هنا يكون ثمة تفاعل بين الإيجابي البناء في هذا التراث والإيجابي البناء من الثقافات الأخرى بما يتفق وذاتيتنا الثقافية.

وتعد اللغة الأم الرمز المعبر عن الشخصية ثقافة وقومية وانتماءً، وما الشعور بالانتماء إلا اعتزاز الفرد بروح أمته، وما كانت اللغة إلا روح الأمة وأساس قوميتها، وما كانت الهوية العربية إلا هوية اللغة والثقافة، إذ إن ثمة أناساً من غير العرب كسيبويه والبيروني والفارابي والرازي والجرجاني ...الخ أصبحوا من أهل هذه اللغة وأبدعوا فيها منذ ما يزيد على ألف عام، وهذا يدل على أن جوهر العروبة ليس مفهوماً عرقياً أو عنصرياً بل هو هوية ثقافية حضارية موحدة. وتجدر الإشارة إلى أن تراث أمتنا لا يبدأ مع الحضارة العربية الإسلامية، بل تمتد أبعاده لتستوعب التراث القديم لكل أقطار وطننا العربي على امتداد الزمان والمكان منذ أقدم العصور إلى الآن.

وتؤدي اللغة العربية دور الحاضن لتراثنا والمحافظ عليه، ويعمق جذوره التعدد والتنوع والانفتاح على الثقافات الأخرى دون الذوبان فيها وفقدان التميز، وإن خسارة اللغة لا تعني افتقاد التواصل فقط، بل تعني افتقاد الانتماء إلى الهوية القومية.

إن مسؤوليتنا تجاه لغتنا جسيمة لا تنتهي عندها جهود، ولا تتوقف عندها مساعٍ، وهذا ما يفسر العناية التي لقيتها الدراسات اللغوية في تراثنا لارتباط اللغة بالقرآن الكريم الذي حماها عبر المحن والنكبات والهجمات الاستعمارية التي مرت بها أمتنا العربية.

أيها الحفل الكريم:

إنّ الجانب المظلم من العولمة يروم دعاته وأد كل القيم الإيجابية التي تعمل على تقدم مجتمعنا العربي، وإيقاظَ كل القيم السلبية التي تفتت بنيته، وما دامت اللغة العربية توحد بين أبناء الأمة العربية، وفي وحدة العرب قوة لهم، كانت هذه اللغة هدف سهامهم، فعملوا على تفتيت هذا الرابط بالدعوة إلى إحياء العاميات ودعم الباحثين العاملين على هذا الإحياء، والسعي إلى تعليمها، ووضع قواعد لها، والدعوة إلى الكتابة بها على أنها لغة الحياة، ذلك لأن اللهجات العامية عامل تفريق حتى في القطر الواحد في حين أن العربية عامل توحيد بين أصقاع العروبة كافة، ومن جهة أخرى عمدوا إلى وصم لغتنا الفصيحة بالتخلف، وعدم مواكبة روح العصر، وأنه إذا أراد أبناء العروبة اللحاق بركب العصر فما عليهم إلا أن يستبدلوا بالعربية اللغة الأجنبية، وهذا ما جنحت إليه أغلب جامعات وطننا العربي، وتبقى سورية متمسكة بعروبتها ولغتها الفصيحة مقدمة الأنموذج الحي على قدرة العربية على تمثل أدق المصطلحات الأجنبية في عصر التدفق المعرفي، وها هو ذا قد مرّ ما يزيد على قرن كامل على جهود أعضاء المجمع في وضع المصطلحات العربية، وإنجاز المعاجم المتخصصة في مختلف ميادين المعرفة. وتبقى هذه الجهود مستمرة في هذا العصر المتطور والمتدفق في معارفه إلى جانب إحياء الصور الإيجابية المشرقة والبناءة من تراثنا العربي، كما مرّ قرن كامل على ألق خريجي الجامعات السورية الذي درسوا وما يزالون بلغتهم الأم، واستوعبوا وتمثلوا المعارف المعاصرة بها إلى جانب تمثلهم المصطلحات الأجنبية، فكانوا كوكبة متميزة على الصعيد العالمي في أدائهم العلمي والعملي.

وإذا كان من أهداف المجمع العناية بإحياء تراث العرب في العلوم والفنون والآداب تحقيقاً ونشراً، فإن الإنتاج الفكري للدكتور محمد قاسم يصب في هذا المجال، ويسهم في تحقيق الأهداف المرسومة.

إننا في أمس الحاجة إلى استلهام التراث وتحويله إلى مؤثرات فاعلة في حياتنا المعاصرة، وفي بناء المستقبل الذي نبتغيه بالاعتماد على نشر ما نتخيره من تراثنا، واعتماد أساليب جديدة، وطرائق حديثة، ورؤى معاصرة في قراءة تراثنا في مختلف ميادينه بحثاً عن الأصالة فيه، وتعريفاً للأجيال الجديدة بها، وتعزيزاً لموقع الشابكة في رصد المناشط والفعاليات التراثية تحقيقاً ونشراً، وبياناً لكل جديد في ميدانه على الصعيدين العربي والعالمي، وتشجيعاً للاتفاقيات الثقافية بين الدول العربية والأجنبية، ولاسيما الدول التي تضم مكتباتها مخطوطات عربية بغية التبادل الثقافي، والتعاونِ في هذه المجالات، وتخصيصِ جوائز قيمة لأفضل كتاب حقق على الصعيد العربي، وإقامة معارض سنوية للكتب المحققة في مختلف الميادين المعرفية.

إنّ لجنة المخطوطات في مجمعنا تعمل على رصد المخطوطات في مكتبة المجمع، وبيان أنواعها، والوقوف على المطبوع منها، وغير المطبوع بغية تكليف الباحثين الأكفياء في هذا المجال العمل على تحقيقها في ضوء الأهمية والأولويات، وما من ريب في أن انضمام الدكتور

محمد عبد الله قاسم إلى المجمع سيسهم أيما إسهام بمشيئة الله في عملية تحقيق بعض المخطوطات القيّمة نظراً لكفايته في هذا المجال، وخبرته الغنية فيه إلى جانب كفاياته الأخرى.

لقد كان التميز ملازماً له في دراسته الجامعية الأولى والدراسات العليا في علوم اللغة العربية وآدابها، وهذا يدل دلالة واضحة على قدرته في اختصاصه الذي حازه، وظل الألق مستمراً في حياته العملية تدريساً وتأليفاً وتحقيقاً وبحثاً.

كان نتاجه العلمي متعدد الأبعاد في علوم اللغة العربية، فكان للنحو نصيب وافر من هذا الإنتاج، وللنحو مكانته المرموقة في علوم اللغة، فقد عده ابن خلدون في تراثنا العربي من أهم علوم اللسان، كما رأى تشومسكي أن النحو من اللغة بمنزلة القلب من جسم الإنسان، وكلما كان المرء متمكناً من سلامة لغته الأم زاد احترامه وإكرامه. ألم يقل شاعرنا العربي:

النحو يصلح من لسان الألكن والمرء تكرمه إذا لم يلحن

ويسعدني أن أقدم الزميل الأستاذ الدكتور عبد الناصر عساف عضو المجمع ليقوم بالحديث بالتفصيل عن العضو الجديد الدكتور محمد عبد الله قاسم، ثم يقوم الدكتور قاسم بالحديث عن العضو الراحل الأستاذ الدكتور عبد الإله نبهان رحمه الله الذي سيحل محله.